٢٨ـ كن عادلًا ولا تكن ظالمًا...

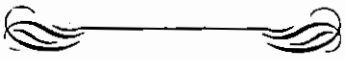

اعلم يا بني ويا بنيتي أن العادل" في اصطلاح الفقهاء: من اجتنب الكبائر، ولم يصر على الصغائر، وغلب صوابه، واجتنب الأفعال الخسيسة، كالأكل في الطريق ، والبول.

وقيل: العدل مصدربمعنى العدالة وهو: الاعتدال والاستقامة، وهو الميل إلى الحق". (١)

والعدل هو أساس الملك، وعليه قامت السماوات والأرض، وهو أحد أسماء الله الحسنى .

واعلم يا بني أن الرجل عندي ليس من يأخذ من الناس لنفسه، فالحيوانات الجارحة تفعل ذلك، بل من يأخذ للناس من نفسه، وينتصر للناس منها.

وبغياب العدل في أي مجتمع، ينتشر الظلم، ويسود قانون الغاب، وتتشكل فئة باغية، فئة لها من القوة والبطش ما يجعلها تهمش كل فئات المجتمع الأخرى، وتنهب خيراته، كما حدث في بلدنا مصر، وفي بلدان عربية أخرى.

ولغياب العدل تنزوي الفئة الصالحة، وما يتوقع منها الإصلاح والتقدم، وما ينفع المجتمع، لتسيطر الفئة الفاسدة التي لا تعرف إلا مصالحها الشخصية.

---

(١)التعريفات ص١٤٧.

إنَّ الله تعالى أمر بالعدل، لأن فيه صلاح الدنيا وعمارتها، أمر بالعدل في الرضا والغضب، في الفرح والحزن، في المحبة والكراهية، في المودة والعداوة، في كل كبيرة وصغيرة، بداية من العدل في القبلات بين الأبناء، إلى العدل بين الأزواج، والعدل بين الأفراد والجماعات، وبين الدول في حال الحكم بينها.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴾ [النساء:٥٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل:٩٠] .

وقال تعالى: ﴿ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات:٩] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ [المائدة:٨] .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ ﴾ [الأنعام:١٥٢] .

العدل بمعنى الظلم...

إذا كان العدل يا بني هو: أن تساوي بين الأشياء، وألا ترفع شيئًا على آخر دون وجه حق، فإن من أعظم الظلم أن يساوي العبد بين الله تعالى، وبين أحد من خلقه، فعَنْ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ ، قَالَ : " أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ ... ". (١)

فهذا إشراك بالله تعالى وكفر به قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ

(١) رواه البخاري والترمذي والنسائي وابن حبان.

يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنعام : ١] .

وقال تعالى:﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾[الأنعام : ١٥٠] .

وقال تعالى:﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل : ٦٠] .

فضل العدل...

اعلم يا بني أن الله تعالى قد جعل من يأمر بالعدل، ويعمل به، على هدى وعلى صراط مستقيم، لا يساويه أحد في الأجر ولا في الفضل، إلا من عمل مثله أو زاد عليه، قال الله تعالى:﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [النحل:٧٦] .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا ". (١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "كُلُّ سُلَامَى مِنْ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ النَّاسِ صَدَقَةٌ ". (٢)

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) رواه مسلم والنسائي.

(٢) رواه البخاري واللفظ له ومسلم .

قَالَ: " إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ كَلِمَةَ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ ".(١)

ومن أول السبعة الذين يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله، كما أخبر النبي ـ ﷺ ـ " إِمَامٌ عَادِلٌ ".(٢)

من صور العدل ...

١ـ العدل بين الرعية...

وهو من أعظم صور العدل، على الإطلاق، لعموم الصلاح والنفع والخير، إذ به ينتشر الخير في ربوع المجتمع، ويخضع الناس طواعية لسلطة الحق والقانون.

والعدل في الإمامة أمر شاق، يستحيل على معظم الحكام، وذوي السلطة، ممن افتتنوا بها، وغرتهم الحياة الدنيا.

ولهذه الصعوبة كان الإمام العادل يوم القيامة في مكان رفيع تحت ظل عرش الرحمن مع ستة أصناف من صفوة الخلق .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَوْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ،وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ ذَاتُ حَسَبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا ؛ حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ، مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ".(٣)

---

(١) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجة.
(٢) متفق عليه .
(٣) متفق عليه .

خطورة الإمارة...

اعلم يا بني أنَّ أكثر ما أخاف عليك أن تكون يومًا أميرًا على أحد، فالرئيس أو الوزير، أو القاضي، أو أي إنسان في منصب يتولى فيه شئون الناس، حسابه شديد، وكلما كبر منصبة وكثرت رعيته، كان الحساب أشد. والعثرات في الامارة غير مأمونة.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " **وَيْلٌ لِلْأُمَرَاءِ ، وَيْلٌ لِلْعُرَفَاءِ ،وَيْلٌ لِلْأُمَنَاءِ ، لَيَتَمَنَّيَنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ ذَوَائِبَهُمْ كَانَتْ مُعَلَّقَةً بِالثُّرَيَّا ، يَتَذَبْذَبُونَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَلَمْ يَكُونُوا عَمِلُوا عَلَى شَيْءٍ** ". (١)

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : دَخَلْنَا عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَذَكَرُوا الْقُضَاةَ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " **إِنَّهُ يُؤْتَى بِالْقَاضِي الْعَدْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَلْقَى مِنْ شِدَّةِ الْحِسَابِ مَا يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ قَضَى بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي تَمْرَةٍ قَطُّ** ". (٢)

والناس كلهم يتجاوزن العقبات بأنفسهم، والأمراء يتجاوزونها بغيرهم، بعدلهم فيهم، وحسن القيام على أمورهم، أما إن غش وخان، فلا تجاوز ولا نجاة، فَعَنْ مَعْقِلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " **مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ ، إِلا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ** " . (٣)

وإياك إياك يا بني أن تسألها، إن رأيت في نفسك قدرة على تحملها، وأنك

---

(١) رواه أحمد و البيهقي وابن حبان والحاكم في مستدركه.

(٢) رواه البيهقي

(٣) متفق عليه من حديث معقل بن يسار.

تعمل فيها بما يُرضي الله تعالى، دعها تأتيك، ولا تأتي إليها، أو تسعى لها سعيها، كن مطلوبًا لا طالبًا، حتى يعينك الله تعالى عليها .

فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : " يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ ، فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا ، وَإِنْ أُوتِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا ، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، فَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ ، وَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ ". (١)

أما إذا رأيت في نفسك أنها لا تستطيع تحمل أعبائها، والقيام بحقها، وخشيت عليها من بريقها، فلا تقربها ولو ضُربت عليها، فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا ، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي ،لا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ ، وَلا تَوَلَّيْنَ مَالَ يَتِيمٍ ". (٢)

٢ـ العدل بين الأولاد...

قد يظن بعض الآباء أنه لا حرج عليهم إن هم عدلوا بين أبنائهم، أو فضلوا بعضهم على البعض الآخر، فيظنون أنهم أحرار في إعطاء البعض وحرمان الآخر، وهذا خطأ، فعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : تَصَدَّقَ عَلَيَّ أَبِي بِبَعْضِ مَالِهِ فَقَالَتْ أُمِّي عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْطَلَقَ أَبِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُشْهِدَهُ عَلَى صَدَقَتِي فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ قَالَ لَا قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ فَرَجَعَ أَبِي فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ " ، – وفي رواية – : " فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا بَشِيرُ

(١) متفق عليه .
(٢)رواه مسلم.

أَلَكَ وَلَدٌ سوَى هَذَا ؟، قَالَ: نَعَمْ فَقَالَ : أَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا ؟، قَالَ : لَا ، قَالَ، فَلَا تُشْهِدْنِي إِذًا فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ " .

وفي رواية " لَا تُشْهِدْنِي عَلَى حَوْرٍ " ، وفي رواية "فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي" ثم قَالَ:" أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟، قَالَ: بَلَى، قَالَ : فَلَا إِذًا ".(١)

٣ـ العدل بين الزوجات...

وهذا في حق من يتزوج أكثر من امرأة، وإن كان العدل التام بينهن ممكنًا في الأمور المادية، فهو غير ممكن في أمور أخرى، وخارج عن تحكم النفس البشرية، ولذلك قال الله تعالى:﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾ [النساء : ١٢٩] .

و"من هذه الميول، أن يميل القلب البشري إلى إحدى الزوجات، ويؤثرها على الأخريات، فيكون ميله إليها أكثر من الأخريات. وهذا ميل لا حيلة له فيه، ولا يملك محوه أو قتله.. فماذا ؟ إن الإسلام لا يحاسبه على أمر لا يملكه، ولا يجع ل هذا إثمًا يعاقبه عليه، فيدعه موزعًا بين ميل لا يملكه، وأمر لا يطيقه! بل إنه يصارح الناس بأنهم لن يستطيعوا أن يعدلوا بين النساء ـ ولو حرصوا ـ لأن الأمر خارج عن إرادتهم. ولكن هنالك ما هو داخل في إرادتهم.

هناك العدل في المعاملة. العدل في القسمة. العدل في النفقة. العدل في الحقوق الزوجية كلها، حتى الابتسامة في الوجه، والكلمة الطيبة باللسان، وهذا ما هم مطالبون به". (٢)

---

(١) متفق عليه .

(٢) في ظلال القرآن٢/ ٧٧٠.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ فَيَعْدِلُ وَيَقُولُ : " اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ "(١). قَالَ أَبُو دَاوُد : يَعْنِي الْقَلْبَ .

وعدم العدل فيما يملك الإنسان يؤاخذ عليه ويحاسب به، لأنها حقوق يجب أن تؤدي بأقصى الطاقة والدقة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ كَانَ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى أَحَدِهِمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَدُ شِقَّيْهِ سَاقِطٌ " . (٢)

ولمخافة الإثم كان الصالحون كما قال مجاهد:" كانوا يستحبون أن يسوّوا بين الضرائر حتى في الطيب، يتطيب لهذه كما يتطيب لهذه.

وعن جابر بن زيد قال: كانت لي امرأتان، فلقد كنت اعدل بينهما حتى أعد القُبَل".(٣)

٤- العدل في الميزان والمكيال...

فقد أمر الله تعالى بإقامة العدل فيما يوزن أو يكال فقال تعالى:﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ ﴾. [الرحمن: ٩] . لما في ذلك من إفساد وأكل لأموال الناس بالباطل. وقد توعد الله تعالى من يظلم في الميزان والمكيال بسوء المصير.

قال الله تعالى:﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ ﴾[المطففين : ١ - ٥] .

---

(١) رواه أحمد وأبوداود والترمذي والنسائي وابن ماجة .
(٢) رواه أحمد وأبوداود والترمذي والنسائي وابن ماجة.
(٣) الدر المنثور ٢/ ٧١٣.

٥ـ العدل بين الناس...

وتلك صورة يا بني عامة تشمل كل ما مضى من الصور وتُدخل غيرها، لتشمل كل صور التعامل بين الناس، ليكون العدل هو المنهج والصراط الذي لا تتجاوزه، في تعاملاتك، وأقوالك وشهادتك. والعدل هو الحق في أعظم تجلياته. هو المنع في محله، والإعطاء في محله، وتقديم ما من شأنه التقديم، وتأخير ما من شأنه التأخير، هو قول الحق ولو أغضب، بل ولو كرهنا.

من فوائد العدل...

١ـ الأمن لصاحبه في الدنيا والآخرة.

٢ـ دوام الملك وعدم زواله.

٣ـ رضا الرب قبل رضا الخلق عن العادل.

٤ـ سلامة الخلق من شره.

٥ـ أصحابه أهل للولاية والحكم والتقدم والرفعة.

٦ـ الصدع بالحق وعدم ممالاة الباطل.

٧ـ يسد مسد كثير من أعمال البر والطاعة.

٨ ـ عموم العدل في الإسلام، حتى إنه ليشمل الأبعدين، فضلًا عن الأقربين والكافرين مع المسلمين. ويشمل التسوية حتى مع أعضاء الإنسان نفسه.

٩ـ طريق موصل للجنة". [١]

---

(١) نضرة النعيم ٧/ ٢٨١٨.

خطورة الظلم...

اعلم يا بني أن عاقبة الظلم وخيمة، وأنه مسلك سيئ، وأنه طريق الضلالة، وأنه مجلبة للآثام والأوزار، وأنه من أسباب الحسرة والندامة.

وأن الله تعالى حرم الظلم على نفسه، لنسير على نهجه تعالى، فنجتنبه ونحذره، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ : " **يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا** ". (١)

وأن كراهية الله تعالى للظالمين محققة، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٧، ١٤٠]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشورى: ٤٠]، وأنهم لا يلحقهم من الله تعالى أي هداية ولا فلاح ولا نصرة، فالله تعالى: ﴿ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨ - آل عمران: ٨٦ - المائدة: ٥١ - الأنعام: ١٤٤ - التوبة: ١٩ - التوبة: ١٠٩ - الأحقاف: ١٠ - الصف: ٧ - الجمعة: ٥]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأنعام: ٢١ - الأنعام: ١٣٥ - يوسف: ٢٣ - القصص: ٣٧] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [البقرة: ٢٧٠ - آل عمران: ١٩٢ - المائدة: ٧٢].

وإذا لم تلحق العبد هداية ربه أو نصرته، وصار من الخاسرين حل به الخزي في الدنيا، والعذاب في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف : ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [الحج ٧١]، وقال تعالى: ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفرقان : ٣٧]،

(١) صحيح مسلم - كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ - بَاب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ.

وقال تعالى: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر:١٨].

والظلم يا بني له تبعات كثيرة، تفوق ما اقترفه الإنسان من ظلم، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّهُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". (١)

ولهذا يا بني فإنَّ كل من كانت عليه مظلمة لأحد فعليه أن يتخلص منها وهو في الحياة الدنيا، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لا يَكُونَ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ ". (٢)

و لا تغرنك صولة الظالم، وعلو شأنه، فإن له ساعة لن تُبقي له صولة ولا شأنًا، وتجعل الذين فتنوا بما له من سطوة، وبما عنده من متع الدنيا، وفتنوا ـ أيضًا بحلم الله عليه، ومده له، يحمدون الله تعالى أنهم ليسوا على شاكلته، ولا يتمنون ـ بعد أن كانوا يتمنون ـ أن يكونوا مكانه، وقارون هو أصدق مثال لكل ظالم متكبر، مغتر بعطاء الله وحلمه، ولكن عندما نضب العطاء، وارتفع حلم الله تعالى عنه، كانت العاقبة كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾. [القصص :٨١ - ٨٢].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ قَالَ ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود١٠٢] . (١)

ولا تغرنك مسكنة المظلوم، وضعفه، وقلة حيلته، وقلة ناصريه، وهوانه على ظالمه. ولا تحسبنَّ... أنْ لا ناصر له ولا معين، فيغريك ذلك أن تكون مع الظالم ضده، أو تزهد في نصرته.

لأن للمظلوم ربًا يحكم بين عباده بالعدل، يحلم ويصبر، حتى إذا ارتفعا حل مكانهما العقاب والهلاك ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود١٠٢] . فتنقلب فرحة الظالم حزنًا، وينقلب حزن المظلوم فرحًا، وليعلم المظلوم أن الله ما أمهل الظالم استهانة به، ولا ضعفًا عن نصرته، ولكنها سنة الله تعالى في تدبير ملكه، أنه لا يعاجل أحدًا بالعقوبة، لأنه سبحانه لو فعل ذلك ما بقي أحدٌ قال تعالى:﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾[فاطر٤٥] .

وعند هذا الأجل يتمنى الظالم أنه لم يداين أحدًا بمظلمة، قال الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المطففين٢٩ ـ ٣٦] .

---

(١) متفق عليه.

واعلم يا بني أن من واجبك ـ وواجب المجتمع أيضًا أن تعمل على أن يكف الظالم عن ظلمه، وإن لم تستطع فلا أقل من إظهار خطورة الظلم عليه، وسوء عاقبته، وإظهار الامتعاض منه، عسى أن يكف عن ظلمه، أو يقلل منه، فتكون بذلك قد كفيته شر نفسه .

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ ؟ ، قَالَ تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ" . (١)

حكم الظلم...

اعلم يا بني أنه" لما كان الظلم والعدوان منافيين للعدل، الذي به قامت السماوات والأرض، وأرسل الله سبحانه رسله عليهم الصلاة والسلام، وأنزل كتبه، ليقوم الناس بالقسط كان ـ أي الظلم ـ من أكبر الكبائر عند الله ، وكانت درجته في العظمة بحسب مفسدته في نفسه". (٢)

من صور الظلم...

١ـ ظلم الإنسان لربه...

اعلم يا بني أن ظلم الإنسان لربه هو أن يجعل له شريكًا في الألوهية والملك، وأن يجعل له ندًا، وهذا أعظم الظلم قال الله: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان١٣].

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ﴾ [الأعراف٣٧].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) الداء والدواء ص٢٢١ .

٢ـ ظلم الإنسان لنفسه...

اعلم يا بني أن الإنسان كثير الظلم لنفسه، يعمل ـ دون أن يشعر ـ على إهلاكها، وعدم نجاتها من غضب الله تعالى ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾[الأنعام٢٦]، فعندما يبتعد الإنسان ـ باستكبار وعناد ـ عن منهج الله المستنير، وصراطه المستقيم، فيكفر ويشرك، أو يعصي ويقصر، فإنه بذلك يظلم نفسه، ويضر بها ـ دون غيرها ـ ويوردها حيث تكره من الذل والهوان، قال الله تعالى:﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾﴾[النساء١١١]،وقال تعالى:﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾[الأعراف١٦٠].

وقال تعالى:﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[الأعراف١٧٧]، وقال تعالى:﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾[التوبة٧٠].

٣ـ ظلم الإنسان لغيره...

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ"، قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ،وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ،وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ،وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ". (١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(١)رواه مسلم.

لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوق إِلَى أَهْلهَا يَوْم الْقِيَامَة ، حَتَّى يُقَاد لِلشَّاةِ الْجَلْحَاء ، مِنْ الشَّاة الْقَرْنَاء ". (١)

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْن عَبْد الرَّحْمَن أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ وَهُوَ يُخَاصِمُ فِي أَرْض، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : اجْتَنِب الأَرْضَ فَإِنَّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ:" مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". (٢)

أسباب الظلم...

اعلم يا بني أن أعظم أسباب الظلم هو حب الدنيا، والافتتان بها، والاستزادة منها، والسعي في امتلاكها.

وكل ذلك يُنمي في الإنسان صفة الطمع، الذي به يمد الإنسان يده وعينه، وكل جوارحه، فيما لا يملك ولا يجوز.

إنه السبب الذي من أجله يسرق الإنسان، ويكذب، و يُزَوِّر، ويقتل، وينافق، ويخون ، ويغش في بيعه وشرائه وموازينه...إلخ

وإذا امتلك الإنسان من الدنيا عرضها طغى وظلم، قال الله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾ [العلق : ٦، ٧] .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) متفق عليه.

من مضار الظلم...

١ـ يجعل الظالم في سخط الله تعالى.

٢ـ الظالم لا يحبه الله تعالى، ولا يحبه الناس.

٣ـ الخسران والندم هما النتيجة الطبيعية للظلم.

٤ـ الظلم يعرض الإنسان لعقاب الله تعالى.

٥ـ الظلم يتضاعف يوم القيامة.

٦ـ الظلم يُذهب بالأعمال الصالحة يوم القيامة.

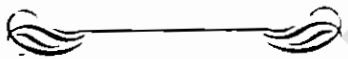

obeikandl.com